

دور الصحافة في كشف جرائم الاستعمار الفرنسي في الجزائر

جوانب من تغطية الصحافة العراقية لجرائم فرنسا إبان الثورة التحريرية

د. علي العبيدي

جامعة بوبكر بلقايد / تلمسان

استند المشروع الاستعماري الفرنسي في الجزائر، منذ لحظة الشروع به في عام 1830، على فكرة قتل السكان الأصليين وسلب الأرض وتوزيعها على من تريد أن يكونوا عليها، بمعنى إبادة الشعب الجزائري والاستيلاء على خيراته. وتفيدنا لهذا المخطط، انتهجت قوات الاحتلال الفرنسي سياسة ثابتة، تقوم على أساس إبادة الشعب الجزائري بشتى السبل. ونتيجة هذه السياسة، تعددت الجرائم التي اقترفتها بحق شعب مسالم لم يكن ذنبه إلا أن فرنسا وضعت نصب عينها السيطرة على بلاده. إذ كانت العقيدة العسكرية التي انتهجها قادة الجيش الفرنسي في الجزائر تستند على القوة والترهيب⁽¹⁾. إذ عامل هؤلاء القادة سكان الجزائر على أنهم دون المستوى البشري، مما فسح المجال أمام جنود الاحتلال لممارسة الإبادة والتقتيل بلا أدنى رادع. إذ كانت مسألة قتل السكان المدنيين والتمثيل بجثثهم، التي كانت تقطع إرباً، وتحمل رؤوسها غنائم من قبل الجنود الفرنسيين ليحصلوا مقابلها على مكافأة نقدية، فضلاً عن تدمير القرى والحقول والاستيلاء على الممتلكات⁽²⁾. واستحضر هنا، رأي الفيلسوف الفرنسي فرانسيس جانسون، وهو يفند مزاعم ادعاءات الدولة الفرنسية بـ(المهمة الحضارية) التي أنجزتها في الجزائر، ويفضح خداع الدولة الفرنسية في محاولة إقناع شعبها في أهمية المشروع التمديني الذي كرسه في الجزائر، حيث كتب يقول: "أما عن الانجازات الفرنسية فحدث ولا حرج، فمن السهولة أن ندرك أبعادها ومراميها ولكن هلا استطعنا تقدير حجم الوهم الذي ما انفك يعظم في أذهاننا جراء تلك الدعاية الصاخبة التي تصد عقولنا عن استشفاف ما تخفيه بين

ثاياتها من حقائق؟، ولكننا، بصفتنا فرنسيين، لم نتخلص بعد من المغالطات التي لفقها مؤرخو الجمهورية الثالثة وأدخلوها في روع أجدادنا وآبائنا بل حتى في عقولنا نحن أيضاً⁽³⁾. ومن خلال هذا الكلام نستشف، أن الخديعة الفرنسية وادعائها الحضارة والتمدن لم تكن مجرد كلام وشعارات، وان ما فعلته طوال فترة احتلالها للجزائر، لاسيما فترة الثورة التحريرية، دليل يعاكس ما تدعي، وهذا ما جعل إدانة جرائمها تتطلق أولاً من أفواه أبنائها قبل غيرهم.

إن سياسة القتل والإبادة التي اتبعتها السلطات الاستعمارية اتجاه الشعب الجزائري جعلت تاريخها أسوداً وصفحاته تقطر دماً، لا يمكن التفاوضي عنه لجسامة الآثار التي ترتبت عليها. وحينما انتفض الشعب الجزائري ضد الاحتلال في الأول من نوفمبر عام 1954، نجد أن سلطات الاحتلال الفرنسية حينها أطلقت العنان لجلادها بممارسة القتل والإبادة بلا أدنى خوف أو تردد، وأرادت بهذه الخطوة تكميم الأفواه الجزائرية التي نطقت بالحرية ونادت بالاستقلال. وتنوعت جرائم القوات الفرنسية إبان الثورة التحريرية واستخدمت شتى صنوف التعذيب والتعسف، ولم تكن تأبه لانتهاكات حقوق الإنسان مهما كانت طبيعتها. وعلى الرغم من كل تلك الجرائم البشعة، نجد أحد مجرميها، وهو الجنرال جاك ماسو يحاول تبريرها بالقول: "الظروف الموضوعية تحتم على جيشنا في الجزائر اعتماد هذه الأساليب الضرورية والتي يجدها ضميرنا مقبولة معنوياً"⁽⁴⁾.

لقد عملت فرنسا منذ احتلالها للجزائر عام 1830 على ممارسة سياسات أساسها التعسف والاستبداد⁽⁵⁾ أسفرت عبر سنوات الاحتلال الطويلة على وقوع العديد من التجاوزات بحق الشعب الجزائري. وهذه التجاوزات يمكن وضعها في إطار واحد دون غيره، وهو أنها ممارسات وجرائم حرب بأبشع صورها. إذ لم تتردد فرنسا في استخدام شتى الأسلحة، التقليدي وغير التقليدي، اتجاه أبناء الشعب الجزائري. ولا يمكن تجاهل الجرائم التي ارتكبت في سنوات الاحتلال الفرنسي في حق أعداد كبيرة من الشيوخ والنساء والأطفال فضلاً عن سياسة

الأرض المحروقة التي ساهمت في إفقار الشعب الجزائري من أجل النيل من صموده في وجه الاحتلال⁽⁶⁾. ولا يمكننا، مهما اجتهدنا نحن جمع المؤرخين، أن نوثق تلك الجرائم لتعددتها واتساع رقعتها التي شملت كل الجزائر. ولكن يبقى دورنا في تجميع تلك الحقائق بالاعتماد على ما وثق من الأحداث في الأرشيفات والصحف والكتب وغيرها من الوسائل التي تجعل من كتابتنا سنداً يحتاج تتكّر المستعمر الفرنسي لما اقتترف من جرائم.

ومن هذا المنطلق، سنركز على هذا السلوك الإجرامي من جانب الاستعمار الفرنسي في الجزائر عبر ما كتبه الصحافة العراقية عن تلك الجرائم وتوثيقها لإدانة الاستعمار الفرنسي الغاشم. إذ حظي هذا الموضوع باهتمام ومتابعة الصحافة العراقية المكتوبة خلال سنوات الحرب التحريرية 1954 - 1962. إذ ركزت من خلال تغطيتها للتطورات السياسية والعسكرية التي كانت تحدث في الجزائر على فضح تلك الممارسات التعسفية والسلوك الإجرامي المنهج التي تقوم به فرنسا في حق الشعب الجزائري. لقد اجتهدت الصحافة العراقية في إظهار بشاعة تلك الجرائم من أجل تحريك الرأي العام العراقي ودفعه للضغط على الحكومة العراقية لاتخاذ مواقف أكثر قوة وحزم تجاه ما يحدث في الجزائر⁽⁷⁾. وعلى الرغم من ضعف وسائل الاتصال وشح المعلومات التي كانت تأتي من الجزائر، وتأخرها في بعض الأحيان، إلا أن الصحافة العراقية اعتمدت على ما كانت تبثه وكالات الأنباء وكبريات الصحف العالمية، فضلاً عن نشرات جبهة التحرير الوطني.

بدأ اهتمام الصحافة العراقية في تغطية الشأن الجزائري يأخذ أبعاداً أكثر عمقا منذ انطلاق ثورة الأول من نوفمبر عام 1954. فتصدرت أنباء انطلاقها عناوين الجرائد العراقية على اختلاف انتماءاتها السياسية. والأكثر من هذا، نجد أن الجرائد العراقية فتحت أبوابها أمام الأقلام الجزائرية للنشر في صفحاتها مقالاتهم وأخبار العمليات العسكرية والجرائم التي تقترفها القوات الفرنسية في حق الشعب الجزائري⁽⁸⁾. وهذا الموقف، كان يجسد حالة التفاعل

التي تشهدها الجرائد العراقية مع أحداث القضية الجزائرية، ويؤكد اهتمامها بالتطورات السياسية والعسكرية طوال سبع سنوات.

وتعد جريدة اليقظة البغدادية أول جريدة عراقية تتشربناً ذلك، وتحديدًا بعد يومين من انطلاقها، وعلى شكل خبر افتتاحي بالحجم الكبير حمل عنوان "اشتعال الثورة الجزائرية"، ومن جملة ما جاء فيه: "اشتعلت الثورة في الجزائر ودخلت بدورها الحاسم، وقد بدأ الوطنيون هجومهم العنيف وأشعلوا النيران في خطوط السكك الحديدية وقدرت الخسائر المادية بـ 20 مليون فرنك"⁽⁹⁾. ومن خلال هذا القول يتضح لنا، إن جريدة اليقظة ركزت على أن هذه الثورة هي استمرار للمشروع التحرري الجزائري الذي يمتد إلى اللحظة التي وطئت القوات الفرنسية أرض الجزائر، وذلك بقولها أن الثورة الجزائرية دخلت في دورها الحاسم. وهذا يعكس متابعة الصحافة العراقية لما كان يحدث في الجزائر من تطورات من قبل. كما ركز المقال الافتتاحي بالحديث عن تاريخ الحركة الوطنية في المغرب العربي والذي حمل عنوان: "ثورة المغرب العربي"، إلى جانب التطور التاريخي لمسيرة النضال الوطني في الجزائر. كما سلط المقال الضوء على الجرائم التي تقوم بها القوات الفرنسية ضد أبناء الشعب الجزائري والوحشية التي تتعامل بها من أجل تمرير مشروعها الاستعماري. واعتبرت السكوت عنها يعني المشاركة فيها. وكتبت تحت الرأي العام والرسمي لاتخاذ موقف أكثر جدية تجاه ما يحدث من مجازر وانتهاك لحقوق الإنسان في الجزائر، بالقول: "كفانا مجاملة لهذه الدولة المستعمرة (يقصد فرنسا)، وهي تحصر إخواننا حصرًا، وتذيقهم العذاب ألوانًا وتقتل بلا رحمة"⁽¹⁰⁾. وناشد المقال جامعة الدول العربية بأن تشد أزر المجاهدين في الجزائر بكل الوسائل الممكنة، كما طالب الدول العربية بأن تقف موقفًا موحدًا من فرنسا لإجبارها على الرضوخ لإرادة الشعب الجزائري كونه واجباً قومياً⁽¹¹⁾.

على العموم، أخذت الصحافة العراقية تهتم بكل ما له علاقة بأحداث الثورة الجزائرية، ومن تلك الاهتمامات التركيز على موضوع الانتهاكات

والجرائم التي تقوم بها القوات الفرنسية بحق المواطن الجزائري من جانب الصحافة العراقية. وهذا الاهتمام أخذ يتزايد بالتدرج كلما تبادت القوات الفرنسية في مجازرها، إذ نشرت جريدة فتى العراق مقالا حمل عنوان: "آيتها الدول العربية أنقذوا الجزائر" بقلم رئيس تحريرها إبراهيم الجليبي، وجّه من خلاله الانتقادات إلى الحكومات العربية نتيجة تخاذلها وسكوتها عن المذابح التي ينفذها المستعمر الفرنسي اتجاه الشعب الجزائري، وكتب يقول: "أن حربا بكل معانيها تدور اليوم بين المستعمرين الفرنسيين وبين المناضلين العرب في الجزائر، والدول العربية تتفرج، ويتبادل ساستها ووزراءها عبارات الود والزيارات والأنخاب مع حكام فرنسا وممثليها الدبلوماسيين في العواصم العربية، لقد اتبعت فرنسا في الجزائر سياسة إرهاب وتدمير وإبادة لا مثيل لها في التاريخ"⁽¹²⁾. لقد كان وصف الجريدة معبرا جدا عن طبيعة السلوك الإجرامي الفرنسي في الجزائر. فهي لم تتوان في اعتبار ما تقوم به فرنسا من أعمال وحشية هي سياسة إرهاب وتدمير وإبادة لا مثيل لها في التاريخ"⁽¹³⁾.

وفي مناسبة أخرى، اعتبرت جريدة فتى العراق ما تقوم به فرنسا من أعمال مشينه، إنما هو حرب إبادة جماعية ونبّهت إلى خطورة نتائجه التي قد تهدد مستقبل البناء الوحدوي للأمة العربية. فكتب رئيس تحريرها مقالا افتتاحيا حمل عنوان: "مؤامرة فرنسا الدنيئة". هاجم فيه انفراد فرنسا بالجزائر وشنها حرب إبادة لا هوادة فيها بعد نجاحها في تجزئة وحدة الكفاح في أقطار المغرب العربي عبر إخمادها للمقاومة الوطنية في كل من تونس والمغرب. وأشار إلى أن ما تقوم به من عمليات عسكرية ضد أبناء الشعب الجزائري تعتبر حرب إبادة جماعية ولا يمكن السكوت عنها. وحمل الحكومات العربية مسؤولية ذلك نتيجة السكوت تجاه ما يحدث. وخاطب الضمير العربي بالقول: "هل من الإنصاف أن تبقى الجزائر وحدها في الميدان؟، هل يطيب للعرب أن تبقى فرنسا تحصد إخواننا في الجزائر بوحشية تفوق كل وصف وتصور؟، إن وصمة عار

جديدة سيطرتها التاريخ في جبين العرب إن هم تركوا الجزائر وحدها في الميدان⁽¹⁴⁾.

ومن أجل التأثير على الرأي العام العراقي ودفعه للضغط على الحكومة العراقية بما يخدم القضية الجزائرية، كانت الجرائد العراقية تنشر تفاصيل دقيقة عما كانت تقوم به القوات الفرنسية من أعمال تتنافى من القيم والمبادئ الإنسانية مثل الإبادة البشرية وسياسة الأرض المحروقة بحق الشعب الجزائري. وسعت من خلال ذلك إلى فضح السلوك العدواني الفرنسي. وعلى سبيل المثال، وصفت جريدة البلاد الممارسات القمعية التي تقوم بها القوات الفرنسية، بعد نشرها تقريراً حول ذلك، على أنها الأبرع والأخزى على مدى تاريخ الإنسانية، واعتبرتها جرائم بشعة وبعيدة كل البعد عن السلوك الإنساني الطبيعي، بقولها: "أن الأفعال التي تقوم بها القوات الفرنسية في الجزائر دليل آخر على مدى بشاعة السلوك الاستعماري تجاه رغبات الشعوب في تقرير مصيرها"⁽¹⁵⁾، وفي مناسبة أخرى كتبت الجريدة تعلق على السياسة القمعية التي تقوم بها فرنسا قائلة: "إزاء ارتفاع المد الوطني هناك (تقصد الجزائر)، كشف الاستعمار الفرنسي القناع عن حقيقة نواياه الخبيثة، فقتل خلال الأيام القليلة الماضية، العشرات بل المئات من المطالبين بحرية بلادهم واستقلالها، وهدم المساكن وشرّد أهلها لا لذنوب جنوه إلا مشاركتهم في معركة الحرية والاستقلال"⁽¹⁶⁾، وتظهر تعليقات الصحافة العراقية اتجاه ما يحدث في الجزائر من ماسي وتجاوزات ضد الإنسانية، القراءة الصحيحة لما يحدث ونتائج ذلك الفعل الاستعماري المشين.

وتبرز القراءة العميقة للجرائد العراقية للسلوك الإجرامي من جانب القوات الفرنسية في الجزائر، ما أشارت إليه جريدة فتى العراق، وهي تحلل ذلك، بالقول: "لم يعرف التاريخ في مختلف أدواره أبشع وأخزى من الاستعمار الفرنسي البغيض، ولم يسجل همجية كهمجية فرنسا البربرية في الجزائر العزلاء، لذلك قامت معركة الحرية في الجزائر عنيفة قوية تريد الخلاص من سياسة البغي والفتك والإرهاب"⁽¹⁷⁾. وفي قراءة أخرى، وصفت جريدة الاستقلال

الممارسات الإجرامية على أنها سلوكيات تعكس وحشية فرنسا التي تدعي التمدن والتحضر، إذ شبهت الجريدة القوات الفرنسية نتيجة سلوكها الإجرامي بما كان يروى عن سلوكيات العصابات وقطاع الطرق، وكتبت تقول: "كان لفرنسا أعمال تتطرق كلها بالفدر والحيلة والقسوة والوحشية والظلم والجبروت ... وهي لا تختلف عما نراه في قصص العصابات الإجرامية وقطاع الطرق. هذا بالإضافة إلى الألوف من أعمال الخيانة واللصوصية والحيلة تقوم بها فرنسا بزعامة ديغول الآن وضريائه من قبل"⁽¹⁸⁾. وقاربت ذات الجريدة، السلوك الإجرامي للقوات الفرنسية بحق الشعب الجزائري بما هو أكثر وحشية حتى من الأقوام أكلة لحوم البشر، بالقول: "وليس هذا هو العمل الوحشي الأول لفرنسا كما أنه ليس هو واحد من أعمالها، وإنما سلسلة من الأعمال البربرية التي لا يرضى بها حتى أكلة لحوم البشر في الغابات"⁽¹⁹⁾.

كما عملت الصحف العراقية على تحريك الرأي العام العراقي للضغط على الحكومة العراقية من أجل اتخاذ مواقف أكثر جدية تجاه السلوك الإجرامي الفرنسي بحق الشعب الجزائري. وكانت الصحف تنشر، إلى جانب تغطيتها للعمليات العسكرية التي يقوم بها جيش جبهة التحرير الوطني، أخبار الجرائم التي تقترفها فرنسا في الجزائر⁽²⁰⁾. وقد شكّل هذا التحرك الإعلامي ضغطاً على الأحزاب الحكومية والمعارضة، وهو الأمر الذي استدعى إلى توافق الآراء بين القوى السياسية العراقية والدعوة لعقد اجتماع لمجلس النواب من أجل مناقشة القضية الجزائرية. وفي يوم 16 مارس 1956 عقد مجلس النواب جلسة علنية لمناقشة الموضوع. وكان التأثير الإعلامي كبيراً في شحن حماسة نواب المجلس بخصوص جرائم فرنسا في الجزائر، وهو ما وضع في تدخلاتهم خلال الجلسة. إذ أشار الدكتور محمد فاضل الجمالي، وهو من الشخصيات السياسية المعروفة في العراق، إلى معاناة الجزائر وحالتها وما يتعرض له الشعب من ظروف صعبة وقاسية. كما أشار إلى خطورة السياسة الفرنسية القائمة على أساس سياسة القضاء على الشعب الجزائري، والتي اعتبرها جريمة لا يمكن السكوت

عليها⁽²¹⁾. كما كانت مداخلة النائب عبد الكريم كنة تصب في نفس الاتجاه، إذ طالب كل من الحكومة العراقية وكافة الدول العربية والإسلامية ضرورة تنسيق الجهود والتعاون للوقوف ضد السياسة الفرنسية في الجزائر وإنقاذ شعبها من المجزرة الرهيبة التي يتعرض لها، لهذا فإن عبد الكريم كنة طالب وبجراًة لم يسبق لها مثيل بضرورة مقاطعة فرنسا اقتصادياً رداً على جرائمها في الجزائر، إذ قال: "لو منعت الدول العربية هبوط طائرات فرنسا وبيضائها وشركاتها التجارية من العمل في الوطن العربي وقاطعت فرنسا اقتصادياً فسوف تلحق بها أضرار كبيرة، وبعدها ستغير موقفها اتجاه الجزائر"⁽²²⁾. وناشد هذا النائب الحكومات العربية أن تضحى قليلاً بمصالحها من أجل إنقاذ أشقاء لهم في دولة عربية تتعرض إلى ظلم وقهر المحتل⁽²³⁾. خلاصة القول، فقد كان لتغطية الصحافة العراقية للموضوع تأثيره الواضح على أعضاء مجلس النواب في تقديم اقتراح للحكومة طلبوا فيه قطع العلاقات السياسية والاقتصادية والثقافية مع فرنسا رداً على ما ترتكبه من جرائم وتقتيل جماعي في الجزائر⁽²⁴⁾.

بالمقابل، أعطت الصحافة العراقية اهتماماً كبيراً لمناقشات مجلس النواب حول ما يتعرض له الشعب الجزائري من تقتيل وإبادة على أيدي القوات الفرنسية. واعتبرت ما طرح من آراء وأفكار ومقترحات من قبل أعضاء مجلس النواب ما هو إلا دليل على تفاعل ممثلي الشعب مع قضاياهم القومية، وأن على الحكومة العراقية أن تأخذ الموضوع على محمل من الجد في إشعار فرنسا أن ما تقترفه من جرائم في الجزائر لم يمر مرور الكرام، كما طالبت الصحافة العراقية الحكومة أن تعمل على توثيق اتصالاتها مع الدول العربية والإسلامية من أجل اتخاذ موقفاً موحداً تجاه الممارسات الإجرامية الفرنسية في الجزائر⁽²⁵⁾. فعلى سبيل المثال كتبت جريدة البلاد قائلة: "إننا ندعو الحكومة للإسراع في ترجمة مواقف ممثلي الشعب العراقي إلى واقع عملي ملموس، حتى تثبت أنها تساند وتدعم التحركات الوطنية من أجل التحرر والاستقلال، والقضية الجزائرية خير نموذج لهذا الموقف"⁽²⁶⁾.

وفي السياق ذاته، طالبت الصحافة العراقية إلى ضرورة تبني القضية الجزائرية عبر وسائل الإعلام العالمية والمؤتمرات الدولية، والعمل على فضح الأساليب الوحشية التي تتبعها فرنسا في الجزائر، وإبراز هذا السلوك على انه عمل عدواني لإبادة شعب آمن من نساء وشيوخ وأطفال، لم يرتكب ذنبا سوى انه أراد حريته. أن هذه الدعوة كان سببها مواجهة التعقيم الإعلامي الذي تقوم به فرنسا تجاه ما يحدث في الجزائر، مما يفرض على الحكومات العربية أن تتبنى الدور الإعلامي المضاد من خلال فضح الممارسات التعسفية وجرائم فرنسا، لأنها فضائع تقشعر لها الإنسانية⁽²⁷⁾.

ومن بين القضايا التي أسالت المداد وشغلت صفحات الجرائد العراقية وتفضح جرائم فرنسا في الجزائر وانتهاكها لحقوق الإنسان، هي قضية اعتقال جميلة بوحيرد في يوم 26 افريل 1957، وما تعرضت له من تعذيب ومحاكمة صورية جائزة، والتي انتهت بالحكم عليها بالإعدام. إذ تابعت الجرائد العراقية ردود الفعل الراي العام العراقي تجاه الحادثة. ونشرت جريدة الزمان، على سبيل المثال، بيان عدد من المثقفات العراقيات واحتجاجهن على حكم الإعدام، ومن بين ما جاء في البيان: "المثقفات العراقيات يستكرن الحكم الجائر على المجاهدة الجزائرية جميلة بوحيرد"⁽²⁸⁾. وعلقت الجريدة على البيان بالقول: "استتكار قرار السلطات الفرنسية هو استتكار يعبر عن سخط المرأة العراقية ونقمتها... وهذا الموقف لا يقتصر على المثقفات العراقيات، وإنما هو موقف كل العراقيين الراض للجرائم التي تقوم بها فرنسا في القطر الشقيق الجزائر"⁽²⁹⁾. وتابعت الصحافة العراقية باهتمام موقف ممثلي الشعب الراض لحكم الإعدام، إذ نشرت برقية الاحتجاج التي أرسلها رئيس البرلمان إلى هيئة الأمم المتحدة، وأعرب رئيس البرلمان عن استنكاره لحكم الإعدام، واعتبره دليلا واضحا على الجرائم التي تقترفها فرنسا بحق شعب أراد الاستقلال والحرية⁽³⁰⁾.

ولم يقتصر موضوع التغطية الصحفية لقضية بوحيرد على ردود الفعل المحلية، وإنما تابعت بعض الجرائد ردود الفعل العربية والدولية، إذ نشرت جريدة

الزمان تصريح الزعيم الهندي الذي طالب من خلاله إطلاق سراح بوحيرد وعدم تنفيذ حكم الإعدام فيها⁽³¹⁾. كما نشرت بيان الاحتجاج الذي صدر من قبل القوى الاشتراكية البريطانية، الذي ندد بحكم الإعدام الذي صدر بحق بوحيرد⁽³²⁾. كما أشارت جريدة الاستقلال إلى برقيات الاحتجاج التي أرسلتها منظمات عربية في سوريا ولبنان ومصر تتدد بالحكم على جميلة بوحيرد بالإعدام وتناشد المنظمات الدولية بالتدخل من أجل إلغاء هذا الحكم⁽³³⁾. وركزت الزمان أيضاً، على المعارضة في داخل فرنسا ضد قرار إعدام بوحيرد، واعتبرت ما نشرته الصحافة الفرنسية بهذا الخصوص دليلاً على ذلك⁽³⁴⁾.

وانعكست تأثيرات هذا الموقف على مناقشات مجلس النواب للائحة قانون انضمام العراق إلى اتفاقية منع ومعاقبة جريمة إبادة الجنس البشري⁽³⁵⁾. كانت مناسبة أخرى استغلها النواب لإثارة قضية الجزائر، وكان المقترح الذي تقدم به النائب عبد الكريم كنه تعليقا على الاتفاقية، قائلاً: "إن مواد هذه الاتفاقية تسمح للحكومة العراقية والحكومات العربية برفع دعوى ضد فرنسا في هيئة الأمم المتحدة لما تقتضيه من عمليات إبادة للجنس البشري في الجزائر وان ما تقوم به فرنسا في الجزائر من تقتيل وإبادة هو عمل إجرامي"⁽³⁶⁾. هذا المقترح نال اهتمام الصحافة العراقية، واعتبرتها مناسبة لا يمكن تفويتها على المستوى الدولي للضغط على فرنسا وإجبارها على وقف عمليات الإبادة البشرية التي تقتربها في الجزائر⁽³⁷⁾.

وكانت الصحافة العراقية لا تترك أي مناسبة تتعلق بسياسة العراق الخارجية من دون التذكير بأن يأخذ العراق دوره في مناصرة القضية الجزائرية، والجرائم التي تقتربها فرنسا ضد الشعب الجزائري. وكانت مناقشات مجلس النواب العراقي لموضوع انضمام العراق لاتفاقية منع ومعاقبة جريمة إبادة الجنس البشري مناسبة استغلتها جريدة الزمان بالمتابعة والتعليق، ونشرت تحقيقاً صحفياً حمل عنوان: "مسؤولية فرنسا في إبادة الجزائريين"⁽³⁸⁾. ومن جملة ما تضمنه التحقيق، تذكير النواب العراقيين بما يحدث من جرائم اتجاه الشعب الجزائري

من قبل المحتل الفرنسي، ودعت إلى ضرورة أن تقوم الحكومة العراقية بالضغط على المنظمة الدولية بوقف هذه الجرائم في حال انضمام العراق للاتفاقية. كما نشرت تعليقا للنائب عبد الكريم كنه، وهو يتهم بالاتفاقية والجدوى من انضمام العراق إليها، حين قال: "جميل أن تتضمن الأسباب الموجبة لهذه الاتفاقية قرار الجمعية العمومية للأمم المتحدة، وجميل كذلك أن يكون هذا القرار قد اتخذ بباريس⁽³⁹⁾ بالذات لان إبادة الجنس البشري التي تجريها حكومة باريس في مناطق متعددة من العالم في مختلف أدوار التاريخ القديم والحديث تجعل محاسبة فرنسا أمراً عسيراً ذلك لان المجازر التي ارتكبتها قبل توقيع الاتفاقية كثيرة وبعد توقيع الاتفاقية نسيت أن الجمعية العمومية للأمم المتحدة قد اجتمعت في باريس ونسيت إن المجازر التي ترتكبها في الجزائر مخالفة لهذه الاتفاقية"⁽⁴⁰⁾.

وأضاف قائلاً: "وحيث أن هذه المجازر رهيبة وهي مجازر جارية في قطر عربي مسلم وحيث أن محاسبة المجرم على إجرامه من قبل الدول الأطراف يكون هذا المجال القانوني متوفراً في هذه الاتفاقية، ففيها تتوفر شروط التهمة وشروط التجريم وبموجب مواد هذه الاتفاقية بعد إبرامها من قبل مجلس الأمة العراقي وتمكن الحكومة العراقية من المطالبة بوضع حد لجريمة إبادة الجنس البشري التي تجري في القطر الجزائري الشقيق"⁽⁴¹⁾.

وبعد أيام معدودة أشارت جريدة الأخبار إلى أهمية تبني فكرة المقاطعة الاقتصادية لفرنسا من أجل معاقبتها على ما تقوم به من جرائم قتل وإبادة ضد الشعب الجزائري، إذ رأت الجريدة أن الرادع الوحيد الذي قد يجبر فرنسا على الرضوخ هو الضغط عليها اقتصادياً. وأشادت بالموقف الشعبي والرسمي للعراق المساند للمقاطعة الاقتصادية، ودعت الحكومات العربية أن تكف عن الشعارات والدعاية والعمل مع العراق على تنفيذ فكرة المقاطعة الاقتصادية. وختمت الجريدة تعليقها بالقول: "وقد حمل العراق لواء الدعوة لمقاطعة فرنسا اقتصادياً، وسيظل يحملها إلى أن يتحقق للجزائريين استقلالهم وحریتهم سواء أراد الآخرون أو لم يريدوا"⁽⁴²⁾.

وربطت الجرائد العراقية بين تلكؤ الحكومات العربية، بما فيها الحكومة العراقية، في تنفيذ سياسة المقاطعة الاقتصادية ضد فرنسا، وتمادي الأخيرة في سياسيتها الإجرامية تجاه شعب الجزائر، وأشارت الصحف العراقية إلى أن مجزرة ساقية سيدي يوسف في الثامن من فيفري 1958 لم تكن لتحدث لولا الصمت العربي. إذ تناولت صحيفة اليقظة هذه المسألة، بالقول: "إن الانتقام والقصاص للشهداء الذين سقطوا في ساقية سيدي يوسف لا يمكن أن يتم من دون معاقبة فرنسا اقتصادياً على سلوكها الوحشي"⁽⁴³⁾. وساندت بقية الصحف العراقية ردود الفعل والغضب الشعبي اتجاه الجريمة الفرنسية في ساقية سيدي يوسف، وأكدت على ضرورة إعادة مناقشة موضوع مقاطعة فرنسا اقتصادياً، واعتبرت ذلك، الحل المناسب في إجبار الفرنسيين على وقوف نزيه الدم الجزائري⁽⁴⁴⁾. وحينها تقدم 34 عضواً من أعضاء مجلس الأمة العراقي اقتراحاً للحكومة يقضي باتخاذ الإجراءات اللازمة لتأميم الأسهم الفرنسية في شركة نفط العراق⁽⁴⁵⁾، اعتبرت الصحافة العراقية، وفي مقدمتها صحيفة الاستقلال، الرد المناسب والقوي لما تقوم به فرنسا من جرائم في الجزائر، وإجبارها على الاعتراف بحق الشعب الجزائري في نيل استقلاله وحرية⁽⁴⁶⁾.

لقد تواصل اهتمام الصحافة العراقية بموضوع ممارسات وجرائم فرنسا في الجزائر إلى درجة أنه أعطاها بعد قومياً موازياً للقضية الفلسطينية، وأشارت الصحافة إلى أنها لأثقل أهمية عنها، ولها مخاطرها على الأمن القومي العربي وقاربت الصحافة العراقية الجرائم التي تحدث في الجزائر، والتي اعتبرتها جرائم قل مثيلها في التاريخ البشري، بالأعمال الإجرامية التي تقوم بها العصابات الصهيونية في فلسطين. وكتبت جريدة الأخبار في هذا الاتجاه: "أن ما تقوم به فرنسا من أعمال إجرامية يوازي ما يقوم به اليهود في فلسطين من قتل وتشريد للعرب هناك، فالجزائر هي مشكلة العرب الكبرى التي يجب أن يجاهدوا من أجلها"⁽⁴⁷⁾. ومن هنا، دعت الجريدة إلى ضرورة الوقوف إلى جانب الشعب الجزائري في محنته وتقديم الدعم المادي والمعنوي حتى لا تؤول الأمور إلى ذات النتائج التي تمخض عنها اغتصاب الصهاينة لفلسطين العربية⁽⁴⁸⁾. فيما وصفت جريدة الاستقلال، في مقالها الافتتاحي بمناسبة انطلاق ثورة الأول من نوفمبر،

الأعمال الوحشية التي تقوم بها القوات الفرنسية ضد الشعب الجزائري يدل على حالة الاستياء من جانب الرأي العام العراقي إزاء السلوك الإجرامي الفرنسي بقولها: "لم يقتصر العمل الوحشي الفرنسي إزاء أبناء الجزائر على صورة واحدة، وإنما هي سلسلة من الأعمال البربرية التي لا يرضى لها حتى أكلة لحوم البشر في الغابات"⁽⁴⁹⁾. وفي ذات المقال حملت الجريدة الدول الكبرى مسؤولية ما يحدث من أعمال إجرامية في الجزائر من جانب القوات الفرنسية كونها تؤيدها بذلك، وكتبت تقول: "ليس من المستغرب أن تقوم فرنسا بمثل هذه الأعمال كي تستمر في استعبادها للشعب العربي في الجزائر .. نقول ليس بمستغرب مادامت هناك دول كبرى تدعي المدنية والتطور وتؤيدها في كل خطوة من خطواتها"⁽⁵⁰⁾.

وفي مناسبة أخرى كتبت جريدة الثورة، الناطقة باسم الحكومة بعد ثورة 14 جويلية 1958، عن الممارسات الإجرامية التي تقوم بها فرنسا في الجزائر، تقول: "إن شعب الجزائر يقدم كل يوم شهداء جدد على مذبح الحرية ... إن المجازر التي تقتربها فرنسا البربرية يندا لها الجبين الإنساني"⁽⁵¹⁾. كما ركزت الجريدة في مناسبة أخرى، على الاستخدام المفرط للقوة من جانب القوات الفرنسية تجاه المظاهرات الشعبية التي تشهدها الجزائر تأييداً للثورة. واعتبرته دليلاً على عدم احترامها لأبسط حقوق التعبير، وإنها جريمة بحق الإنسانية. وناشدت العرب على مساعدة أبناء الجزائر: "حياة الجزائريين في خطر وعلى العرب أن يعملوا من أجل حمايتهم"⁽⁵²⁾.

ومن الأحداث التي وجدت صداها في الصحافة العراقية مظاهرات 11 ديسمبر 1960، إذ تابعت الصحافة العراقية ما حدث من أعمال عنف وقتل بحق المتظاهرين الجزائريين، واعتبرت ما حدث دليل آخر على أن فرنسا ليس لديها الرغبة في التعامل من القضية الجزائرية بالشكل الودي وإيجاد الحل المناسب لها، حسبما أشارت جريدة الثورة⁽⁵³⁾. واعتبرت صحيفة الأهالي سقوط شهداء من جانب المتظاهرين الجزائريين دليل على إصرار الشعب الجزائري على المضي قدماً نحو تحقيق الاستقلال ونيل الحرية⁽⁵⁴⁾. كما نشرت الصحافة ردود فعل منظمات المجتمع المدني، وكان البيان الذي أصدره الاتحاد العام لنقابات العمال العراقي

صدى في صفحات الجرائد العراقية، حيث استنكر البيان بالمجزرة التي ارتكبتها القوات الفرنسية في مدينة الجزائر ضد أبناء الشعب الجزائري العزل، والذين لم يرفعوا إلا الشعارات والراية الوطنية للمناداة بالحرية والاستقلال. وركزت جريدة صوت الشعب على الدعوة من أجل التضامن مع الشعب الجزائري لمعاقبة المحتل الفرنسي على جريمته الوحشية ضد أبناء الشعب الجزائري⁽⁵⁵⁾. كما تناولت الصحافة العراقية ردود الفعل الرأي العام العراقي، وشهدت صفحات الجرائد العراقية تغطيات موسعة للمظاهرات التي خرجت في بغداد مساندة لمطالب الشعب الجزائري في تحقيق استقلاله، وفي ذات الوقت منددة بالممارسات الإجرامية التي ترتكبها القوات الفرنسية ضد الشعب الجزائري. وأبرزت الجرائد العراقية الشعارات التي مجدت الشهداء الذين سقطوا في أحداث 11 ديسمبر. ونشرت مطالب المتظاهرين ومن بينها: "استنكار المذابح الوحشية التي قام بها المستعمرون الفرنسيون ضد الشعب الجزائري. وإدانة أعمال التكيل وأحكام الإعدام وأساليب التعذيب التي يمارسها الفرنسيون في الجزائر"⁽⁵⁶⁾.

ختاماً، يمكننا القول: أنّ الصحافة العراقية نجحت في تقريب صورة ما كان يحدث في الجزائر من سلوكيات وممارسات إجرامية تقترفها القوات الفرنسية بحق الشعب الجزائري. وهذا النجاح أسهم في تنامي حالة من التفاعل الجماهيري مع الأحداث التي تشهدها الجزائر بشكل متواصل. وهذا الأمر ساهم في تصاعد الضغط على الحكومة العراقية في العهد الملكي⁽⁵⁷⁾ والجمهوري في التجاوب للمطالب الشعبية بخصوص دعم الثورة الجزائرية بشتى السبل والطرق، ولاسيما في التنديد بالجرائم التي تقوم بها القوات الفرنسية بحق الشعب الجزائري من اجل إسكات صوته. وعلى ما اعتقد، أن ما حصل في العراق من تفاعل، إلى جانب بقية الدول العربية، شكل عاملاً من عوامل نجاح الثورة الجزائرية التي وجدت في فضائها العربي الانطلاقة نحو تحقيق الهدف الأسمى وهو الاستقلال والتخلص من الاستعمار الفرنسي الذي جثم على الأرض الجزائرية طوال 132 سنة.

إحالات

1. محفوظ قداش، جزائر الجزائريين... تاريخ الجزائر 1830-1954، ترجمة: محمد المعراجي، الجزائر، 2008، ص 27.
2. اوليفي لوكور غرانميزون، الاستعمار، الإبادة ... تأملات في الحرب والدولة الاستعمارية، ترجمة: نورة بوزيدة، الجزائر، 2007، ص 173-174.
3. ماري- بيار اولوا، فرانسيس جانسون الفيلسوف المناضل: من مقاومة الاحتلال النازي لفرنسا الى مقاومة الاحتلال الفرنسي للجزائر، ترجمة: مسعود حاج مسعود، الجزائر، 2009، ص 107.
4. ايفا بريستير، في الجزائر يتكلم السلاح ... نضال شعب من اجل التحرير، ترجمة: عبد الله ف. كحيل، الجزائر، 1989، ص 296.
5. يشير الكاتب محفوظ قداش إلى الاستخدام المفرط للقوة والعنف وما أسفر عنه من جرائم هو سياسة ثابتة من جانب القيادات العسكرية الفرنسية في الجزائر من اللحظة الأولى للاحتلال الفرنسي للجزائر، وفي هذا الصدد كتب يقول: "أن أغلبية الضباط الفرنسيين كانوا يرون انه يجب حكم الجزائريين بالقوة والترهيب وان الغزوات ضد القبائل المشاغبة وحتى القضاء عليها نهائيا كان ذلك الوسيلة الفعالة لمحاربة العرب". ينظر: محفوظ قداش، المرجع السابق، ص 28 و41.
6. محمد تقية، الثورة الجزائرية... المصدر، الرمز والمآل، ترجمة: عبد السلام عزيزي، الجزائر، 2010، ص 337-338.
7. ينظر: علي العبيدي، أصدقاء الثورة الجزائرية في الصحافة العراقية 1954-1962... جريدة هنتى العراق نموذجا، مقال منشور في مجلة: عصور، الأعداد 8- 11 لسنوات 2006-2007، وهران، ص 77.

8. جودي لخضر بوالطمين، مذكرات مجاهد من بغداد إلى الجزائر، وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007، ص 7- 8.
9. جريدة اليقظة، 3 نوفمبر 1954.
10. المصدر نفسه.
11. المصدر نفسه.
12. جريدة فتى العراق، 21 مارس 1955.
13. المصدر نفسه
14. جريدة فتى العراق، 7 جوان 1956.
15. جريدة البلاد، 12 اوت 1955.
16. جريدة البلاد، 24 اوت 1955.
17. جريدة فتى العراق، 16 ماي 1957 .
18. جريدة الاستقلال، 11 نوفمبر 1958.
19. المصدر نفسه.
20. للتفاصيل ينظر: جريدة البلاد في 1 و4 و5 مارس 1956؛ جريدة الزمان في 3 و4 و5 و6 مارس 1956.
21. فاضل الجمالي، من واقع السياسة العراقية، بيروت، 1956، ص82.
22. محاضر مجلس النواب العراقي، الجلسة رقم 26 في 15 مارس 1956، ص470.
23. المصدر نفسه، ص 470.
24. المصدر نفسه، ص 480 - 481.
25. جريدة الاستقلال، 16 مارس 1956.
26. جريدة البلاد، 17 مارس 1956.
27. فاضل الجمالي، المصدر السابق، ص 211.

28. جريدة الزمان، 31 جانفي 1958.
29. المصدر نفسه.
30. جريدة الأخبار، 31 جانفي 1958.
31. جريدة الزمان، 26 جانفي 1958.
32. المصدر نفسه، 9 فيفري 1958.
33. جريدة الاستقلال، 17 جانفي 1958.
34. جريدة الزمان، 26 جانفي 1958.
35. المصدر نفسه، 5 جانفي 1958.
36. محاضر مجلس النواب العراقي، الجلسة رقم (4) في 2 كانون الثاني 1958، ص 34.
37. جريدة الأخبار، 5 جانفي 1958.
38. جريدة الزمان، 6 جانفي 1958.
39. يقصد التوقيع على الاتفاقية في باريس في 9 ديسمبر 1948.
40. جريدة الزمان، 6 جانفي 1958.
41. المصدر نفسه.
42. جريدة الأخبار، 21 جانفي 1958.
43. جريدة اليقظة، في 11 فيفري 1958.
44. جريدة الاستقلال، 11 و12 فيفري 1958؛ جريدة الزمان في 13 فيفري 1958.
45. كانت نسبة مساهمة فرنسا في شركة نفط العراق هي 23.75 ٪ الى جانب كل من بريطانيا والولايات المتحدة.
46. جريدة الاستقلال، 22 فيفري 1958.
47. جريدة فتى العراق، 10 جوان 1957.

48. المصدر نفسه، 29 جويلية 1957.
49. جريدة الاستقلال، 1 نوفمبر 1958.
50. المصدر نفسه.
51. جريدة الثورة، 6 جويلية 1961.
52. المصدر نفسه، 16 فيفري 1961.
53. جريدة الثورة، 15 ديسمبر 1960.
54. جريدة الأهالي، 17 ديسمبر 1960.
55. جريدة صوت الشعب، 18 ديسمبر 1960.
56. جريدة الأهالي، 21 ديسمبر 1960.
57. كانت الحكومة العراقية في العهد الملكي تحاول التوازن بين الضغوط الداخلية وعلاقتها الخارجية فيما يخص موقفها مما كان يحدث من مجازر وجرائم من جانب القوات الفرنسية في الجزائر. ولكن أحيانا نجد أن هذا التوازن يختل في صالح القضية الجزائرية في الكثير من الأحيان. وعلى مقربة من ثورة الرابع عشر من جويلية 1958، نجد وزير الخارجية نوري السعيد يدين الممارسات الإجرامية من قبل القوات الفرنسية، ويطالب الحكومة الفرنسية مراجعة مواقفها تجاه مطالب الشعب الجزائري بالحرية والاستقلال. ففي الخطاب الذي إلقاه في اجتماعات المجلس الوزاري لميثاق بغداد (حلف بغداد) في يوم 27 جانفي 1958، تحدث قائلا: "وان الأوضاع في قسم آخر من العالم العربي لتستحق اهتمامنا الجدي وكان وفدنا في اجتماعنا السابق في كراچي قد أعرب عن أمله بان فرنسا بما لها من حكمه وتعقل قد نجد سبيلا لوضع حد للمجازر المرعبة التي تجري في الجزائر والتي لا طائل من ورائها. وذلك بالاعتراف بحق الجزائر في الحرية والاستقلال وفق مبادئ ميثاق الأمم

المتحدة وتقرير المصير، ولكن يؤسفني أن أرى إن حرب التحرير الباهظة الثمن وهي الآن في سنتها الرابعة مازالت مستمرة وان كفاح الجزائري من أجل حقوقه وحرية مازال ماضياً دون أي اكتراث من قبل فرنسا التي نقضت أعمالها الأهداف التي أعريت عنها كعضو من أعضاء منظمة الأمم المتحدة". للاطلاع على نص الخطاب ينظر: جريدة الزمان، 28 جانفي 1958.